الدعوة للطاعة

"أَيْنَ كُنْتَ... عِنْدَمَا تَرَنَّمَتْ كَوَاكِبُ الصُّبْحِ مَعًا، وَهَتَفَ جَمِيعُ بَنِي اللهِ؟" (أيوب 38:7)

سننظر اليوم في موضوع التسبيح العظيم. في وسط تجارب أيوب، والألم الجسدي، والاكتئاب ومشاعر الهجر، قدم الله نفسه لأيوب كإله يستحق التسبيح طول الوقت، نعم، في كل وقت.

"طول الوقت" تعيدنا إلى الخلق عندما بدأ الزمن. يشير ما ورد في (تكوين ١:٢)، و(أيوب ٣٨: ٤-٧)، إلى أن الله خلق كل جند السماء قبل أن يبدأ في خلق الأرض. هذا لأنه أراد أن تمتلئ خليقته بالتسبيح. لذلك، كانت كل الكائنات السماوية تسبح وتصيح خلال عملية الخلق كلها. بعد ذلك، عندما رأت الإنسان باعتباره تتويجًا للخليقة، لم تكف عن التسبيح لأنها منذ ذلك الحين توقعت العرس العظيم بين المسيح والكنيسة. لذلك، من ذلك الحين فصاعدًا، يستمر التسبيح في ملء الفضاء اللامتناهي في ذلك "الخارج" الرائع. وبنعمة الله، ستسمع يومًا ما كواكب الصبح هذه ترنم معًا وأبناء الله هؤلاء يهتفون من الفرح حين تعبر الفاصل العظيم الذي يفصل الأرض عن السماء.

التسبيح هو كيان وجوهر عالم الله. ومثلما الماء بالنسبة للسمك، كذلك التسبيح بالنسبة لله. التسبيح مسكن الله. التسبيح هو مسكن القديسين. لا يمكن للإنسان القديس أن يعيش بدونه. لا يمكنه التنفس بدونه. وبدونه يكون عاجزًا. إنه أعمى ومقعد بدونه. ومع أنه يستطيع أن يبتهل إلى الله بدونه، لا يمكن أن يكون له شركة معه بدونه. التسبيح هو مؤشر الحرارة الروحية لكل شخص. إن كان بلا تسبيح فإنه يفقد حبه الأول ويتعرض لخطر فقدان روحه. بلا تسبيح، يكون بلا إيمان لأن الإيمان لا يمكن أن ينمو في قلب لا يسبح. والقلب بدون تسبيح يصبح عرضة للخطيئة (رومية ١:٢١).

بما أن الخطيئة تفصلنا عن الله، يمكننا فقط أن ندخل في شركة معه بالرب يسوع الذي أخذ خطايانا مقدمًا ذاته بلا عيب أمام وجود الله. لكن يا صديقي، إن أردنا البقاء في حضرة الله، علينا أن نوجد جوًا وبيئة من التسبيح في داخلنا للحفاظ على تلك الشركة الوثيقة مع الله. حقًا، قلت إننا بحاجة لإيجاد هذا الجو. لا تسلم إلينا على طبق من الفضة. لا تأتي إلينا إلا بإنكار الذات لأن حياة الذات تتعارض تمامًا مع حياة التسبيح.

فقد أيوب علاقته الوثيقة مع الله في وقت معاناته الشديدة. أصبح منغمسًا في نفسه بشكل مفرط. نعم حقًا، ما زال يؤمن، لكن إيمانه كان متصدعًا. لكن الله في محبته وصل إليه وأعاده إلى التسبيح بأن يوحي إليه لينضم إلى كواكب الصبح وبني الله. مرة أخرى، في هذا اللقاء بين الله والإنسان، نتعلم شيئًا عن ضرورة التسبيح في جميع ظروف الحياة: ليس فقط على قمم الجبال ولكن أيضًا في وديان الحياة، ليس فقط في الصحة لكن أيضًا أثناء المرض، ليس فقط في الحرية ولكن أيضًا في السجن، ليس فقط عندما يسير كل شيء بشكل جيد ولكن أيضًا عندما يبدو أن كل شيء ينهار، ليس فقط عندما تكون هناك رياح خلفية ولكن أيضًا عندما تكون هناك رياح معاكسة. قال الله في الأساس:"تعال يا أيوب. لا يزال من المناسب التسبيح والهتاف". الآن يا صديقي العزيز، كلما كنت في مكان صعب، فتذكر من فضلك، أنك ما زلت في طريقك إلى عشاء عرس الخروف.

قليلون من لديهم رؤية لهذا. كان بولس الرسول أحد الذين نالوا رؤيا هذا الإعلان وهذه القناعة. بالنسبة له كان ذلك أسلوب حياته. لذلك عندما ينصحنا بأن نفرح دائمًا، فهذا ليس مفهومًا لاهوتيًا فحسب، بل هو جوهر حياته اليومية الذي يشاركنا فيه. قال: *"اشْكُرُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ، لأَنَّ هذِهِ هِيَ مَشِيئَةُ اللهِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ مِنْ جِهَتِكُمْ"* (تسالونيكي الأولى ١٨:٥).

من أفضل الأمثلة على نقديم بولس للشكر في جميع الظروف هو رحلته إلى روما المسجلة في أعمال الرسل (٢٧؛ ٢٨). لقد أعطاه الله إعلانًا أن عليه أن يذهب إلى روما، مع أن الاضطهاد والموت ينتظرانه هناك. ومع أن بولس لم يكن يعرف ذلك حينذاك، إلا أن إنجازاته في روما تجاوزت بكثير أعماله الأخرى من أجل الرب يسوع. وبسبب ذهابه إلى روما، نمت الكنيسة بشكل كبير حتى حلت مكان الوثنية وصارت روما مركزًا للمسيحية لعدة قرون. وفي روما أيضًا كتب بولس بعضًا من أغنى رسائله: أفسس، وفيلبي، وكولوسي، وفليمون، وتيطس، ورسالتيه إلى تيموثاوس. كان المنبر الأكبر لبولس هو مكتبه في روما الذي لا يزال يؤثر في حياة الملايين كل يوم. ضع في اعتبارك الآن أن معظمنا يتوقع أن تكون الرحلة بإعلان من الروح القدس سلسة، ولكن في حالة بولس، تبين أن العكس تمامًا هو الصحيح. كانت مغامرة رهيبة تمامًا ومليئة بالعقبات.

أنا أؤمن أنه بهذه الوسائل، حيث أعطى الله لبولس رحلة قاسية في طريقه إلى روما، كان يحاول بذلك أن يصنع منه ليس رجلاً صالحًا بل أكثر صلاحًا. أراد الله أن يتعلم بولس التمسك بصليبه الشخصي بطريقة أعمق من أي وقت مضى، ليتمجد فيه. نفس الشي حقيقي بالنسبة لنا. لا يريدنا الله أن نتجاوز صليبنا. فلا يمكن أن نفتخر به إلا إن كنا مسمرين به. كلما تعمقت جذورنا في المعاناة بفرح، زاد ارتفاع فروعنا الروحية إلى أعلى. لذلك، يوجد مكتب أو منبر في مكان ما لكل واحد منا، لكن لا يمكننا الوصول إليه إلا من خلال المرور بالعواصف.

دعونا الآن نلقي نظرة خاصة على ما دفع بولس إلى حياة مسيحية أعمق في طريقه إلى روما. فيما يلي بعض الاقتباسات المباشرة من كلامه:...الرِّيَاح كَانَتْ مُضَادَّةً... وَلَمْ تُمَكِّنَّا الرِّيحُ أَكْثَرَ... تَجَاوَزْنَاهَا بِالْجَهْدِ ... وَصَارَ السَّفَرُ فِي الْبَحْرِ خَطِرًا...(أعمال الرسل ٢٧:٤-٩). قال لهم بولس:"أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَنَا أَرَى أَنَّ هذَا السَّفَرَ عَتِيدٌ أَنْ يَكُونَ بِضَرَرٍ وَخَسَارَةٍ كَثِيرَةٍ، لَيْسَ لِلشَّحْنِ وَالسَّفِينَةِ فَقَطْ، بَلْ لأَنْفُسِنَا أَيْضًا"(أعمال ٢٧:١٠). وساءت الأمور. وظلوا لمدة أسبوعين بدون توجيه ملاحي، بلا شمس ولا نجوم؛ وتقاذفتهم بلا عاصفة شديدة حتى أن البحارة ربطوا الحبال حول بدن السفينة ثم اضطروا لاحقًا إلى إلقاء حمولتها في البحر عندما اقتربوا من نقطة اليأس. في النهاية جنحوا نحو مَلِيطَةَ. واضطروا إلى السباحة إلى الشاطئ.

ماذا كان يفعل بولس كل ذلك الوقت؟ كان دائمًا يفرح ويخدم الآخرين. لقد عاش بهذه الطريقة وكثيرًا ما تم اختباره فيها، لذلك كان له الحق في التبشير وجعله وعاءً لمسحة أكبر. كل المعاناة لها قصد إلهي. الآن أنت تعرف ما هو طريق المعاناة، طريق آلامك. وأخيرًا، أرسل الله ملاكًا ليطمئن بولس أنه لن يضيع أي شخص على متن السفينة ويؤكد له مجددًا أنه سيصل بأمان إلى روما. حقًا، قد يصمت الله لفترة طويلة في أثناء معاناتك، ولكن إن واصلت التسبيح فسيظهر في النهاية. يستمر الأصحاح الثامن والعشرون من سفر أعمال الرسل في وصف ما حدث في جزيرة مالطة. نشبت أفعى سامة في يد بولس على الشاطئ وكان عَتِيدًا أَنْ يَسْقُطَ مَيْتًا، لكنه لَمْ يَتَضَرَّرْ بِشَيْءٍ رَدِيّ. نتيجة لذلك، نال الكثيرون من سكان الجزيرة وحاكمهم الخلاص، وكان هناك اجتماع كبير للشفاء. هلليلويا! إن فعلت الصواب في داخلك، يجازيك الله في الوقت المناسب علانية. يكافئ الله شعبه على أمانتهم!

هل أقنعتك حتى الآن بفائدة التسبيح مع كواكب الصبح والهتاف بفرح مع بني الله مهما حدث؟ هذه هي الوصفة التي أعطاها الله لأيوب في تجربته. أدرك بولس ذلك، ولم يدركه أيوب. احتاج أيوب إلى صديق مثل بولس ليعلمه أن يشكر في كل شيء. حقًا، قوة الشفاء، بلسم جلعاد الساكن في كل قديس مجرب. هذا ما قصده الرب يسوع عندما قال: "حِينَئِذٍ يُضِيءُ الأَبْرَارُ كَالشَّمْسِ"(متى ١٣:٤٣). ما هي شدة إضاءتك الآن وأنت في طريقك إلى السماء؟ بالطبع بعكس أيوب، وقف بولس على أكتاف مئات القديسين والمسيح كان أمامه. لديك أكثر من ألفي سنة من أكتاف القديسين لتقف عليها. أين أنت في هذا؟ كيف حال رحلتك من قيصرية إلى روما؟

هناك أمور كثيرة صالحة تأتي من التسبيح. أحدها أنه يفرح الله. على مدى الثلاثين سنة الماضية أمضيت النصف ساعة الأولى من يومي في التسبيح لأفرح الله. في هذه العملية، يبادلني الله بالمثل ويجعلني أكثر فرحًا أيضًا. هذا يشعل النار داخلي ويساعدني في الوصول إلى المنابر والناس والعلاقات التي كنت سأفتقدها لولا ذلك.

فائدة أخرى للتسبيح هي أن التسبيح يضع منطقة عازلة بينك وبين العدو. فيقيم حاجزًا لا يستطيع عبوره. إنه يطرد العدو بعيدًا. لا يمكن أن ينهزم المسيحي الذي يسبح الله (أخبار الأيام الثاني ٢٠:٢١،٢٢). جاء جيش ضخم للعدو على مملكة يهوذا. بدا الأمر ميؤوسًا منه، كأن بني إسرائيل ليس لديهم فرصة للنجاة. هل لديك أيضًا مواقف ميؤوس منها؟ حسنًا، عندئذ، لا تلبس المسوح والرماد مثل أيوب. افعل ما طلب الله من شعبه أن يفعلوه، قابل العدو بالتسابيح. كان عليهم أن يترنموا بتسبيح جمال الرب وقداسته ومراحمه. انهزم العدو تمامًا. لم يقع وسط بني إسرائيل ضحية واحدة.

التسبيح يغير الوضع اليائس. أنت الآن تعلم لماذا كان الله يحب داود كثيرًا لدرجة أنه دعاه "رَجُلًا حَسَبَ قَلْبِهِ"(صموئيل الأول ١٣:١٤). لم يكن ذلك بالضرورة أنه أفضل كل القديسين الآخرين، لكن لأنه كان رجل تسبيح. يسكن الله في تسابيح شعبه. تمتلئ مزامير داود بالتسابيح، وقد عيَّن أربعة آلاف من اللاويين ليسبحوا الرب دائمًا، نهارًا وليلاً، في بيت الرب. إنني أدعوك اليوم أن تبدأ بالهتاف والتسبيح مع القوات السماوية في خلال كل ظروف الحياة، ولن يفوتك حفل العرس الذي دُعيت أنت لحضوره.